﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة: 121]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

سبق الحديث في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: 120] الآية عن قطع أمل الرّسول ﷺ والمؤمنين من إيمان أهل الكتاب؛ لأنّ الآية قَدْ سَلَّتْ مَا كَانَ يُخَالِجُ النُّفُوسَ مِنَ الرَّجَاءِ بِإِيْمَانِ أَهْلِ الْكِتَابِ كُلِّهِمْ، ثم جاءت هَذِهِ الْآيَةُ تَنْطِقُ بِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُرْجَى إِيْمَانُهُ، وَهُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِمَا هُوَ عِلَّةُ الرَّجَاءِ وَمَنَاطُ الْأَمَلِ، وَهُوَ تِلَاوَةُ كِتَابِهِمْ حَقَّ تِلَاوَتِهِ[1]؛ فجاءت هذه الآية استدراكًا على ما مضى من مضمون الآية السابقة، فإنّ الذين يتلون الكتاب حقّ تلاوته، ويؤمنون به، مُسْتَثْنَوْنَ من أولئك المذكورين في الآية السابقة.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾: فعل ماضٍ مع الفاعل والمفعول بمعنى: أعطيناهم، أصله (آتى)، والجذر منه (أتي)، ومنه أتى يأتي، "والإيتاء الإعطاء، تقول: آتى يؤتي إيتاء، وتقول: هاتِ بمعنى: آتِ، أي: فاعل"[2].

وفي الآية بمعنى: الإنزال، أي: أنزلنا عليهم الكتاب.

2) ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: يأتي (الكتاب) في القرآن الكريم على أحد عشر وجهاً[3]، والمراد به هنا التوراة والإنجيل.

3) ﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾: فعل مضارع من الأفعال الخمسة مسند للجماعة، جذره من التاء واللام والواو، ومعناه: "الاتِّباعُ يقالُ: تَلوتهُ إذا تبعتهُ، ومنهُ تلاوةُ القرآنِ؛ لأَنَّهُ يُتبعُ آيةً بعدَ آيةٍ"[4].

(1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/367.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أتي).
(3) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص: 527-526.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (تلو).

و"تَلَاهُ: تبعه متابعة، ليس بينهم ما ليس منها، وذلك يكون تارةً بالجسم وتارةً بالاقتداء في الحكم، ومصدره: تُلُوٌّ وتُلْوٌ، وتارةً بالقراءة وتدبُّر المعنى"[1].

"والتلاوة تختصُّ باتِّباع كتب الله المنزلة، تارةً بالقراءة، وتارةً بالارتسام لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب"[2].

والمعنى المراد في الآية: تلاوة الكتاب: اتِّباعه والأخذ به عملاً[3]، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ التِّلاوَةِ، أَيْ يَقْرَؤونَهُ حَقَّ قِراءَتِهِ لا يُحَرِّفُونَهُ ولا يُبَدِّلُونَهُ.

4) ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مسند لواو الجماعة، وجذره الهمزة والميم والنون، وهو يدلُّ على سكون القلب وتصديقه[4]، وأصلُ الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف[5]، وفعله: أمِنَ، أمَّا آمن؛ فله وجهان[6].

أحدهما: أن يكون متعدِّيًا، تقول: آمنته إذا جعلت له الأمن والأمان، ومنه في وجه[7] اسم الله المؤمن.

والآخر: أن يكون لازماً، ومعنى (آمن) على هذا: صار ذا أمن.

والفعل يؤمنون في الآية: "يدلُّ على أنَّ الإيمان مقصورٌ عليهم، ولو كان المراد أهل الكتاب لما كان كذلك"[8].

5) ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: اسم فاعل، مجموع جمع سلامة، مفرده: خاسر، وجذره اللغوي (خسر)، ولمعناه: "أصلٌ واحد يدلُّ على النقص، فمن ذلك الخسر والخسران، ويقال: خسرت الميزان وأخسرته؛ إذا نقصته"[9].

ومعناه أيضًا: "الخُسْرُ والخُسْرَان: انتقاص رأس المال، وينسب ذلك إلى الإنسان، فيقال: خَسِرَ فلان، وإلى الفعل، فيقال: خَسِرَتْ تجارته"[10].

---

(1) الراغب، المفردات: (تلو).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (تلو).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (تلو - تلي).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمن).
(5) الرّاغب، المفردات: (أمن).
(6) الرّاغب، المفردات: (أمن).
(7) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 32-31.
(8) الرازي، مفاتيح الغيب: 4/35، في المطبوع: "مقصودٌ"، وهو تصحيف.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خسر).
(10) الراغب، المفردات: (خسر).

ويستعمل في غير الأمور المادية: "كالصّحّة والسّلامة، والعقل والإيمان، والثّواب، وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين"[1].

وأكثر ما في القرآن منه "من جهة أنهم اشتروا الكفر بالإيمان، وقيل: بتجارتهم التي كانوا يعملونها بأخذ الرشا على التحريف"[2].

ومعنى ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ في هذه الآية: الذين "باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني، وفي التعريف بالإشارة والحصر للخسران فيهم"[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

سيقت هذه الآية تخصيصاً لما قبلها من أنَّ عموم أهل الكتاب لن يؤمنوا حتى تكون تابعًا لهم في ديانتهم، فقد "أرشد إلى أنَّ فريقًا منهم يرجى إيمانهم، وهم الذين يتدبرون كتابهم، ويميزون بين الحق والباطل، ويفهمون أسرار الدين، ويعلمون أن ما جئت به هو الحق الذي يتفق مع مصالح البشر، فهو الذي يهذب نفوسهم، ويصفِّي أرواحهم، وينظِّم معايشهم، وبه سعادتهم في الدنيا والآخرة"[4]، ولا يحرِّفون ولا يبدِّلون ما جاء فيه؛ هؤلاء هم الذين يؤمنون بالنبي محمد ﷺ وبما أنزل عليه، وأمَّا الذين بدَّلوا بعض الكتاب وكتموا بعضَه، فهؤلاء كفارٌ بنبي الله محمد ﷺ وبما أنزل عليه، ومن يكفر به فأولئك هم أشدُّ الناس خسرانًا عند الله.

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

دلالةُ فَصْلِ الجُملةِ عن السَّابقةِ:

إنصافُ القرآنِ لأهل الكتابِ

جاءت الآيةُ مفصولةً عمَّا سبقها لأنَّها مُعترضةٌ في بيان حال مؤمني أهل الكتاب بعد ذكر أحوال كَفَرَتِهم، وتنبيهًا على كمال التَّباين بين الفريقين[5]، وهذا يدلُّ على إنصاف القرآنِ لأهلِ الكتابِ، وأنَّه يُعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه من المواصفاتِ التي يتَّصف بها.

(1) المرجع السابق: (خسر).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خسر).
(3) الآلوسي، روح المعاني: 1/373.
(4) المراغي، تفسير المراغي: 1/205، ونخبة من العلماء، التفسير الميسَّر: ص19.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 1/372.

فائدةُ التَّعبيرِ بالاسم الموصولِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾:

تعـيـينُ أهـلِ الـكـتـابِ المُستحقِّين هذا الوَصْفَ

بدأت الآيةُ باسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، وهو يُعبَّر به عن الجمع لتوسيعِ الدّلالة ليشملَ من آمن بالرسول ﷺ من علماء أهل الكتابِ، ومن عوامِّهم، ويدلُّ الاسمُ الموصولُ على مزيدِ مَدْحٍ وتعيين، فهو يُعيِّن أهلَ الكتابِ المُفضَّلين الذين يستحقُّون أن يوصفوا بهذا الوَصْفِ، فكأنَّه قال: أهلُ الكتابِ هم الذين يَتلُونه حقَّ تلاوتِه لا غيرُهم، وهو ما يُترجمُه الفعلُ المضارِعُ واسمُ الإشارةِ.

دلالةُ نونِ العظمةِ في الفعلِ: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾:

أفادت شرف المُؤتى، وهو الكتاب، الذي هو بمنزلة النور لتبديد ظلام الشُّبهات عند اليهود والنصارى، وفيه حياة القلوب والأرواح، وبيانُ شرف مَنْ أُوتوهُ لشرف إضافتهم ودخولهم في الكلمة؛ فبصدقِهم وتصديقهم لما أنزله الله في كُتبهم من الإيمان بالنَّبي محمَّد ﷺ ودعوته؛ نالوا هذا الشرف.

معنى التَّعريف في الكتابِ وسرُّ الاختيارِ:

تحريكُ عقولِ وقلوبِ أهلِ الكتابِ منزعٌ قرآنيٌّ راسخٌ

معنى التَّعريفِ في: ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يَحتمِل العهدَ أي: التَّوراة[1]، ويحتمل أن يكونَ الكتابُ "اسمَ الجنس، ويَتْلُونَهُ معناه: يتّبعونه حقّ اتّباعه بامتثال الأمر والنهي"[2]، وعُبِّر بالكتابِ لأنّ التوراة كتاب، والإنجيل كتاب، والقرآن كتابٌ؛ فأتى بالوصف المُشترِك للجميع؛ فجهة التسمية واحدة، وجهة الإنزال واحدة، وفيه حضٌّ وحثٌّ على الإيمانِ بالقرآنِ الكريمِ، وهذا من بناءِ القيم القائمةِ على تحريكِ عقولِ وقلوبِ أهل الكتابِ.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 2/565.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/204.

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾ دلالةً وصيغةً:

التِّلاوةُ قراءةٌ راسخةٌ واتِّباعٌ دائمٌ

معنى التِّلاوةِ في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ اجتمع فيه معنيان: الاتِّباع، والآخر: القراءة، فهو "يقعُ عليهما جميعًا، ويصحّ فيهما جميعًا المبالغةُ؛ لأنّ التابع لغيره قد يستوفي حقّ الاتباع، فلا يخلُّ بشيء منه، وكذلك التَّالي يستوفي حقَّ قراءته، فلا يخلُّ بما يلزم فيه"[1] وفيه إيجاز بديع في الجمع بين المعنيين بلفظٍ واحدٍ، وعبَّر بالفعل المُضَارِعِ للدّلالة على أنّ هؤلاء يتَّبِعون هدي السماء، فلا يفتُرون عنه، فهو دَيدَنُهُم صُدورًا ووُرودًا.

التجويدُ والإتقانُ سمةُ أهلِ الإيمانِ:

دلَّ لفظُ ﴿حَقَّ﴾ على الإتقانِ والإحكامِ، أي: تلاوةً مستوفيةً، يُراعى فيها ضبط اللفظ، وفهم المعنى، ولزوم العمل بما فيه؛ فإنَّ للتِّلاوةِ حقَّها الواجب لها.

فائدةُ استعمالِ اسمِ الإشارةِ للبعيدِ:

الإيمانُ وصْفٌ عالٍ لا يستحقُّه إلَّا من عمِلَ به حقَّ العملِ

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ عبّر عن الذين يتلونه حقّ تلاوته بأولئك؛ "إشارة إلى الموصوفين بإيتاء الكتاب وتلاوته، كما هو حقّه، ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ محطّ الفائدة ما يلزم الإيمان به من الربح"[2] ولمّا كان اسم الإشارة أولئك موضوعًا للبعيد؛ ففيه إيماء إلى علوِّ منزلة هؤلاء الذين يتلون كتابه حقّ تلاوته، والتَّنبيه على أنَّ الأوصافَ المتقدِّمة هي الموجبةُ لجدارتِهم بالحكمِ المسند لاسم الإشارة، والحصر، وزيادة التَّأكيد لإثبات إيمانهم، وفيه تعريضٌ بأولئك المعاندين المحرِّفين الذين لم يؤمنوا بالكتاب.

معنى عطفِ الجملةِ على الجملةِ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾:

كمالُ استيفاءِ موقفِ أهلِ الكتابِ من الحقِّ

عُطفت جملةُ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ على

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 4/35.
(2) القاسميّ، محاسن التأويل: 2/243.

ما قبلَها؛ لإرادة الجمعِ والتَّناسُب بين حالَتَي الإيمانِ والكُفر، حيث جاءت هذه الجملةُ لكمالِ الاستيفاءِ، فالجملةُ السَّابقة لبيانِ كمال المُؤمنين بالكتابِ حقًّا وصدقًا، وهذه الجملةُ لبيانِ الكافرين عنادًا وإصرارًا، فهو بيانٌ وتفصيلٌ لموقفِ أهلِ الكتابِ من الإيمانِ بالرَّسول ﷺ، حتّى لا يبقى لمُعتذرٍ عذر.

التَّقابُلُ بين الإيمانِ والكفر معنًى وصيغةً:

طـبـاقُ المعنى واتِّـفـاقُ الحالِ مـن بـديع نظمِ القرآنِ

عبَّرتِ الآيةُ عن إيمان أهلِ الكتابِ بالفعلِ المضارعِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وفي المقابلِ عبرت عن كفرِهم بالمضارعِ: ﴿يَكْفُرْ﴾، وهذا التَّقابلُ أبان عن اختلافِ الحالين في المعنى؛ فهو طباقٌ بديعٌ، وصوَّرَ حالَ كلِّ فريق، فأولئك مستمرُّون في إيمانِهم يعملون به على الدَّوام، والمقابلون مستمرُّون في عنادِهم وكُفرِهم بكتاب اللّه الذي يدعوهم إلى الصِّراط المستقيم.

اختلافُ الصِّيغةِ بين الشَّرطِ وجوابِه:

عـدالـةُ الـقـرآنِ وحـرصُــه على إيمانِ النَّاسِ

اختلف التَّعبيرُ بين الشَّرطِ وجوابِه، فالشَّرطُ ﴿يَكْفُرْ﴾ جاءَ فعلاً مُضارِعًا؛ لإفادة التجدّد، وفيه بيانُ عدالةِ القرآنِ، وهَمْزُهُ الآخرين كي يُؤمنوا، فلم يحكم عليهم حكمًا دائمًا، بَيْنَما جاء الجواب جملةً اسميَّةً؛ لإفادة الثُّبوت؛ فإنّ من يكفرْ ويتجدَّدْ كفرُه آنًا بعد آنٍ ويُدركْهُ الموتُ على ذلك؛ فمصيرُه القارُّ هو الخسرانُ، وفائدةُ "ذلك تنفيرٌ عن تعاطي السبب؛ لما يترتَّب عليه من المسبَّب الذي هو الخسران ونقص الحظ"[1].

فائدةُ ضميرِ الفصلِ:

قولُه تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ جملة اسميَّةٌ، وجاءَ ضميرُ الفَصْلِ لتوكيدِ القَصْرِ، فالخبرُ مقصورٌ على المبتدأ؛ لأنَّه معرَّفٌ باللَّام، وخلا المبتدأُ من لام الجنسِ[2]، ففيه دلالة على أنّهم هم الخاسرون دون غيرهم، فقد قصر صفة الخسران عليهم.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 1/593.
(2) الرضي، الكافية بشرح الرضي: 2/25.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»